

الإمام أحمد بن حنبل

صاحب أكبر دواوين السنة المطهرة وإمام الفقه المأثور

مَنْ مِنْكُمْ لَا يَعْرِفُنِي يَا أَبْنَاءَ هَذَا الْجِيلِ الْوَاعِدِ؟ فَأَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ حَنْبَلٍ الشَّيْبَانِيُّ. أَنَا عَرَبِيٌّ الْأَصْلُ، أَتَمَمِي إِلَى قَبِيلَةِ شَيْبَانَ الَّتِي يَنْتَمِي إِلَيْهَا الْكَثِيرُ مِنَ الْقَادَةِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْأَدْبَاءِ وَالشُّعْرَاءِ، وَهِيَ قَبِيلَةٌ رُبَعِيَّةٌ عَدْنَانِيَّةٌ، تَلْتَقِي مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي نِزَارِ بْنِ مَعَدٍّ بْنِ عَدْنَانَ.

عندما جاوزت الخامسة عشر من عمري بدأت أطلب العلم، وأول من طلبت العلم عليه هو الإمام أبو يوسف القاضي، ولكن مع مرور الوقت وجدت ارتياحاً أكبر لطلب الحديث، فتحوّلت إلى مجالس الحديث وأعجبتني هذا النهج الذي يناسب أهل الصلاح والورع، فأخذت أجول والمدينة والحجاز واليمن والعراق وفارس وخراسان والجبال والأطراف والثغور، وكان ذلك في المرحلة الأولى من حياتي فحسب.

التقيت الشافعي في أول رحلة من رحلاتي الحجازية للحرم، فأعجبت به، ومكثت أربعين عاماً لا أبيت ليلة إلا دعوت فيها للشافعي. وإن كنت حُرمت لقاء مالك، فقد عوضني الله عز وجل عنه بسفيان بن عيينة.

كنت أسترزق بأدنى عمل حتى لا آخذ من صديق أو شيخ أو حاكم قرضاً أو هبة أو إرضاً لأحد يؤثرني به.

تعرّضت لمحنة كبرى

عندما رفضت الخضوع والتنازل في القول بمسألة عمّ البلاء بها، وحمل الخليفة المأمون الناس على قبولها قسراً وقهراً دون دليل أو بينة، وهي دعوته إلى القول بأن القرآن مخلوق كغيره من المخلوقات. وقد حمل الفقهاء على قبولها، ولو اقتضى الأمر تعريضهم للتعذيب، فامتلأوا خوفاً ورهبةً، وامتنعت ومعي محمد بن نوح عن القول بما يطلبه الخليفة، فكبّلنا بالحديد، وبعث بنا إلى بغداد لتمثل أمام المأمون لينظر في أمرنا، غير أنه توفي ونحن في طريقنا إليه، فأعدنا مكبلين إلى بغداد. وفي طريق العودة قضى محمد بن نوح نحبه في مدينة الرقة، بعد أن أوصاني قائلاً: «أنت رجل يقتدى به، وقد مدّ الخلق أعناقهم إليك لما يكون منك، فاتق الله وأثبت لأمر الله»، فالتزمت هذه الوصية، ومكثت في المسجد عامين وثلاث عام وأنا صامد، حتى حملت إلى الخليفة المعتصم الذي وأصل سيرة أخيه بحمل الناس على القول بخلق القرآن، وأتخذت معي في حضرة الخليفة وسائل الترهيب والتخويف، ليظفر المجتمعون مني بكلمة واحدة تؤيدهم فيما يزعمون، لكنني كلما سئلت عن القرآن الكريم لا أزيد على قول: «هو كلام الله». وأمام إصراري علقوني من عقبي، وراحوا يضربونني بالسياط، ولم تأخذهم شفقة وهم يتعاقبون على جلدي حتى فقدت وعيي، ثم أطلق سراحي فعدت إلى بيتي. ثم منعت من الاجتماع بالناس في عهد الخليفة الواثق، حتى إذا ولي المتوكل الخلافة، منع القول بخلق القرآن، وردّ لي اعتباري، فعدت إلى التدريس في المسجد.

من شيوخه: هشيم بن بشير، وسفيان

بن عيينة، وإبراهيم بن سعد، وجريز بن عبد الحميد، ويحيى القطان، والوليد بن مسلم، وإسماعيل بن علية، وعلي بن هاشم بن البريد، والمعتز بن سليمان، وعمار بن محمد (ابن أخت سفيان الثوري)، ويحيى بن سليم الطائفي، وغندر، وبشر بن المفضل، وزيد البكائي، وأبو بكر بن عياش، وأبو خالد الأحمر، وعبد بن عبد المهلي، وعبد بن العوام، وعبد العزيز بن عبد الصمد، وعمر بن عبيد، والمطلب بن زياد، ويحيى بن أبي زائدة، والقاضي أبو يوسف، ووكيع، وابن نمير، وعبد الرحمن بن مهدي، وزيد بن هارون، وعبد الرزاق، والشافعي، وغيرهم.

من مؤلفاتي كتاب «المسند»، وهو أكبر دواوين السنة المطهرة، إذ يحوي أربعين ألفاً من أحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم - انتقيتها من بين سبعمائة وخمسين ألف حديث.

ولي من الكتب أيضاً «الأشربة»، و«الزهد»، و«فضائل الصحابة»، و«المسائل»، و«الصلاة»، وما يلزم فيها»، و«الناسخ والمنسوخ»، و«العلل».

اشتهرت بأبني محدث أكثر من شهرتي بأبني فقيه، ولم أكن آخذ من القياس إلا الواضح، وعند الضرورة فحسب، وكنت لا أكتب إلا القرآن والحديث. من هنا عرف فقهي بأنه الفقه المأثور، فكنت لا أفتي في مسألة إلا إن وجدت من أفتى فيها من قبل صحابياً كان أم تابعياً أم إماماً. وإذا وجد للصحابة قولان أو أكثر اخترت واحداً، وقد لا يترجح عندي قول صحابي على الآخر، فيكون لي في هذه المسألة قولان.

